الفصل الخامس

أنت العامل الأهم

- لماذا لا نتقدم مثل غيرنا يا عم؟

- أنا وأنت يا أحمد، السبب، نحن أهم عوامل النجاح للوصول إلى العالم الأول، الإنسان يمسك بأهم عوامل النجاح أو الفشل، نجاح الدول في الوصول إلى مراتب متقدمة من الازدهار العلمي والاقتصادي يعتمد على أفرادها، إن كنا جادّين في رحلتنا إلى العالم الأول فأهم عوامل النجاح في هذه الرحلة هم رجال الوطن ونساؤه، نعم، إنهم أنا وأنت، زوجتي وزوجتك، أبنائي وأبناؤك، منا الأب والأم والأخ والأخت والمعلم والمعلمة والمواطن الذي يحرص على النظام وحفظ الأمن وخدمة الآخرين، أنا وأنت من يجب أن يرفع صوته عاليًا من أجل تحسين الخدمات ورفع الظلم عن المظلومين، الناس الشرفاء هم الذين يعملون بجد، ويكشفون المتلاعبين والفاسدين، ويبعدونهم عن مصالح الناس ومصادر المال واتخاذ القرار، وبذا يقدمون أعظم خدمة للوطن وللمسؤول وللأبناء والأحفاد.

- لكن أدوارنا صغيرة مهما اجتهدنا.

- لكل منا دوره في هذه المسيرة الجميلة، ومهما صغر الدور فهو مهم، وفي تراثنا الكثير من الحكم التي تؤكد أهمية الصغير وتأثيره، بشرط أن يعمل بجد وبلا ملل أو كلل، ومن أشهرها قول الشاعر:

لا تَحقِرَنَّ صَغِيرًا فِي مُخاصَمَةٍ إنَّ البعوضةَ تُدمِي مُقلَةَ الأَسَدِ

ومن الأقوال المأثورة في تراثنا الشعبي قولهم: «العصفور يهزع الرشا» والرشا هو الحبل الغليظ يمتد مشدودًا بين طرفين، فإذا وقع عليه العصفور الصغير خفيف الوزن حناه إلى أسفل.

- أوافقك الرأي يا عم، رأيت ذلك بكل وضوح، وانعكس نجاحي على البيت والأسرة بأكملها، وانعكس إيجابًا على عملي.
- تغيرت يا أحمد، كثيرًا، لكن هذا لا يكفي، فلا حدود للنجاح، نريدك أن تكون ملهمًا لغيرك في سلوكك ونجاحك في الحياة، في المظهر والمخبر وفي الأداء المتميز، البحث عن الكمال هو صفة الناجحين.
- وهل لا تزال تبحث عن المزيد من العطاء في هذه السن يا عم؟
- نعم، يا أحمد، من توقف عن العطاء توقفت عنه الحياة، أقرأ كثيرًا، أشغل وقت فراغي بالقراءة، وأبحث عن دورات في تطوير الذات لألتحق بها على الرغم من تقدمي في السن وعلى الرغم مما أصبت من نجاح، فلست مقتنعًا ولا مكتفيًا بما حصلت عليه.

في كل مجال من مجالات الحياة قلة متميزة منضبطة مفكرة تقود أكثرية قانعة مستسلمة، فكن من تلك القلة المؤثرة، وكلما زاد عدد القادة المتميزين في الوطن زادت سرعة وتيرة تقدمه، ونستطيع أن نزيد عدد الناجحين بانضمامنا إليهم وتشجيع الشباب ليكونوا قادة. أعتقد أن من أهم وظائف المدارس والجامعات هو تخريج قادة يصنعون التغيير المطلوب.

- كيف أستطيع أن أكون قائدًا أو مديرًا ناجحًا يا عم؟
- ولتصبح قائدًا عليك أن تتخلص من الكثير من أمراض المجتمع المتأصلة، ومن أسوأ ما في التراث من قيود ومثبطات.

القائد والمدير الناجح يتميز بالإخلاص في عمله والتفاني في أدائه والشجاعة في اتخاذ القرار ومنح الصلاحيات لغيره والمشاركة في أداء العمل، واستثمار وقته وجهده لتطوير نفسه والتأثير فيمن حوله، الناجح شخص لا يقنع بمستوى معين، بل يبذل جهدًا متواصلًا للتحسين المستمر.

- لا أريد أن أكون ناجحًا فقط، أريد أن أكون متميزًا.
- أحسنت لا حدود للنجاح، لتكن حدودك السماء.
- لكن كيف أؤثر في الآخرين، وأجعلهم يعملون معي فريقًا واحدًا؟
- الرأفة والرحمة هما أفضل وسيلة للتأثير في الآخرين، وعلى من يريد أن يصبح قائدًا فذًّا ومؤثرًا أن يقرأ أكثر عن الذكاء

العاطفـي الذي يؤكد أن القائد يجب أن يعامِل الناس كما يحب أن يُعامَل، وهناك الكثير من الكتب والمراجع التي تهتم بالذكاء العاطفـي، ألا تـرى يا أحمـد، أن الطائر لا يطـير إلا بجناحين، وهكـذا القائد في حاجة إلى عقله وقلبه معًا ليسـتطيع التحليق عاليًا في فضاء النجاح.

- وهناك صفة أخرى قرأت عنها كثيرًا، وأود الحديث عنها.
- تفضل يا أحمد.
- نبـذ الأنانيـة والابتعاد عن الغضب وردود الأفعال المتشـنجة مهمـة لكل قائـد فذ، الأنانيـة متأصلة في المجتمعـات النامية، كلٌّ يفكـر في مصلحتـه فقـط، حتى ولو على حسـاب مصالح الآخرين ورفاهيتهم، ومن أهم الرسائل التي يجب أن ننشرها بين أفـراد المجتمع رسـالة التواضع عند الفوز وعدم التشـنج والغضب عند الهزيمة، كما هو في الرياضة وأهدافها السـامية، ولـو تتبعـت مسـيرة كل معلم أو مـدرب ناجـح لوجدت أن الحلم والتواضع من أهم صفاته. ما شـعور كلٍّ منا لو اشـترك أحدنا في مباراة أو مسـابقة، ثم فـاز فيها على خصمه، ثم تقدم هذا الخصم باسطًا يده بالتهنئة ومباركة الفوز؟ أعتقد أن ذلك الخصـم سـيصبح صديقًا، تذكـر أنك لن تجبر النـاس على نبذ الأنانية، والتحلي بالحلم والتواضع، لكن بالتأكيد تسـتطيع أن تدرب نفسك على ذلك حتى يصبح الإيثار والحلم والتواضع

سمات تعرف بها، هذه ليست مهمة بسيطة، لكنها تأتي مع التكرار والإصرار، أكثر الناس سقوطًا من أعلى هم الأنانيون والمتكبرون الغلاظ المتجهمون، لقد رأيتهم في أكثر من مجال، من تكبر على من هو أصغر منه، سلط الله عليه من يتكبر عليه، ويبعده عن طريق الناس.

- أحسنت يا أحمد، وبدأ الطالب يتغلب على أستاذه.
- هذا تواضع منك يا عم، لكن لدي سؤال يؤرقني، وهو كيف أرد على من يخطئ عليّ، ثم يعاملني بجفاء، وكأنني أنا المخطئ وليس هو؟
- استخدم سلاح العظماء الذي لا يخونك أبدًا، تسامح وابتسم في وجهه، واعتذر إن أخطأت، فأنت لم تسمع إلا بعض الحقيقة، ولو تمادى شخص في خطئه، فتستطيع أن تأخذ حقك منه دون أن تجاريه في حمقه.

ابتسم

ألا ترى أننا كنا جادين أكثر من اللازم، ما ذنب هؤلاء الصغار، علينا أن ندخل البهجة إلى قلوبهم، وقلوبنا معهم،

يقول إيليا أبوماضي:

يا صاحِ، لا خَطَرٌ علَى شفتَيكَ أن ... تَتَثَلَّما والوَجْهِ أن يَتَحطَّما

فاضحكْ فإنَّ الشُّهبَ تَضْحكُ والدُّجَى ... مُتلاطِمٌ ولذا نحبُّ الأَنْجُما

قالَ: البَشاشَةُ ليسَ تسعدُ كائِنًا ... يَأتِي إلَى الدُّنْيا ويذهبُ مُرْغَما

قلتُ: ابتَسِمْ ما دامَ بينكَ والرَّدَى ... شِبْرٌ فإنَّكَ بعدُ لنْ تَتَبسَّما!

خذِ ابنيك إلى المزرعة وإلى حظيرة الغنم، ودعهما يلعبان، ويمرحان، بعدها نتناول الغداء، ثم أحدثكم عن رحلتي الأخيرة للرياض.

المجتمع بخير ما ظل يبحث عن الجميل لتأصيله، قبل عام دعيت إلى الرياض لإعطاء محاضرة عن الابتسام وأهميته في حياتنا، فرحت كثيرًا؛ لأن من دعاني هم الشباب، وفرحت لأنهم أسسوا مجموعة تدعى (مجموعة الابتسام)، أسسها مجموعة من طلبة الجامعات وموظفين صغار، وبدعم وتأييد من رجل أعمال فاضل، قلت لهم: أنتم تطبقون حديث رسول الله ﷺ: «**من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**» وقوله ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»، وقلت لهم: نحن شعب لا يبتسم إلا بصعوبة ليس

لأنه حزين، ولكن لم نضع الابتسامة ضمن أولوياتنا، غياب الوعي بأهمية الابتسام جعلنا لا نعيرها أي اهتمام. في الدول المتقدمة يعلمون أطفالهم في المنزل وفي المدارس أهمية الابتسام، يكافئون الموظف المبتسم بمزيد من الأوسمة والترقيات، يحتفلون بكل يوم مشرق، ويظهرون فرحهم للجميع.

- ولكن ليس كل سكان الدول المتقدمة مبتسمين يا عم.
- صحيح يا أحمد، ولن تجد شعبًا كل أفراده مبتسمون، لكنهم يحثون عليها، ويطبقونها، تحدثت إلى بعض الشباب المبتعثين إلى أستراليا، فقال أحدهم: تعلمت الابتسام هنا، بعد وصولي بثلاثة أشهر أجبروني على الابتسام، يقابلك الرجل أو المرأة، فيبتسم في وجهك، ثم يقول: صباح جميل، فأرد عليه بأحسن منها. الابتسام دليل ثقة بالنفس، وعربون محبة، وصدقة جارية.

جرّبت الابتسام في البيت والعمل، فوجدته كنزًا لا يستخدم إلا قليلًا على الرغم من أنه يسهّل أمورًا كثيرة، حين كنت على رأس العمل أمرّ على ثلاث بوابات، وفي كلِّ بوابة جنود أمن، وحالما أقبل أرى الابتسامة على وجوههم، والسبب أنني أبادرهم بالتحية مصحوبة بابتسامة غير مصطنعة، لكنها نتيجة تقديري لما يقومون به من عمل نبيل لحماية الشركة، أصبح المرور عليهم كل صباح والسلام عليهم ومناداتهم بأسمائهم المحببة تجربة فريدة. وجدت الابتسامة ترتسم على الشفاه كنبع صافٍ بين الصخور.

- وماذا لو ابتسمت لرجل يقابلني بعبوس؟
- ابتسم، حتى ولو كان غيرك لا يبتسم، الناس يختلفون في كل شيء، لكن سترى الفرق كبيرًا في الإنجاز وحسن المعاملة.

في دراسة لجامعة كاليفورنيا في بيركلي، رُصِدت صور الطالبات المتخرجات من واقع كتاب التخرج السنوي، وتعرفوا إلى الابتسامات الصادقة من قبل عالميْ نفس ميّزا بين الابتسامة الصادقة والمصطنعة، ثم تابعا حياة هؤلاء الطالبات المبتسمات بصدق في سن السابعة والعشرين، وفي سن الرابعة والثلاثين والثانية والخمسين، وقد سُئل المشاركون أسئلة محددة كرضاهن عن الحياة وخبراتهن وسعادتهن؟، وقد وجد الباحثان أن من كنّ يتمتعن بابتسامة صافية صرن الأفضل من بين زميلاتهن من حيث الاستقرار الأسري وقلة الطلاق والنجاح في العمل.

- - ولكن أليس من السذاجة أن أبتسم في كل المواقف، حتى لو لم يكن هناك ما يستدعي الابتسام؟
- لا أعني أن تظل تبتسم على مدار الساعة، لكنها مواقف ومقابلات وصدقات تجود بها على من تقابله ومن تتعامل معه، هذه الأشياء البسيطة هي ما يصنع الفرق بين شخص ناجح يبحث عن السعادة له ولغيره، وشخص آخر يفتقد لحس الدعابة وسحر الابتسام ما يجعله مملًّا ومتعبًا لنفسه ولغيره.

- تذكر أن الابتسام هو عربون محبة، والمحبة هي ما ننشدها، ونريد أن نعممها على كل أفراد المجتمع مبتدئين بالأهل والأصدقاء وزملاء العمل، وهذا ما سوف أحدثك عنه في المرة القادمة، أستودعك الله، وأتركك تعود إلى أهلك، ولا تنسَ أن تستحضر الابتسامة والحب في معظم المواقف.

هل نستخدم سلاح الحب؟

إذا استطعت أن تحب بما فيه الكفاية، فإنك تستطيع أن تكون أقوى إنسان في العالم.

إيميت فوكس

وصل أحمد على غير عادته إلى الغاط، جاء بسيارة أكبر ومعه كل أفراد عائلته ومنهم والده ووالدته وزوجته وأطفاله، جاؤوا لقضاء بضعة أيام في بلدتهم الجميلة، كان والده أكثرهم فرحًا، نزلوا جميعًا، وسلموا على عمه، وتعانق الشيخان طويلًا، سلمت الأم على العم، ومدّت له يدها بكل ثقة وحب، أخبر أحمد عمه بأنه قد قسم أيام إجازته بين والديه وزوجته وأطفاله.

شكر العم أحمد، وهنأه على السيارة الجديدة وعلى تغير أحواله وعلى علاقته بوالديه وزوجته وأطفاله.

- قال والد أحمد: أتيت لأشكرك على مواقفك النبيلة مع أحمد، لا تتصور مقدار التغيير الذي طرأ على سلوكه وتعامله معنا وتفانيه في عمله، لقد تغيرت أحوالنا جميعًا، وحلّ الحب محل الكره، والعمل المثمر محل الكسل القاتل، نحن في حاجة إلى الحب كحاجة الشجرة إلى الماء والهواء، الحب إذا دخل بيتًا أحاله قصرًا منيفًا، ولو دخله الكره لأحاله إلى منزل أشباح ورعب، كنا في خصام مستمر مع أحمد لصعوبة التعامل معه،

كنا لا نخرج من موقف صعب إلا إلى أصعب منه، والآن كما ترى تغير كل شيء للأفضل.

- صدقت يا أبا أحمد، الحب كغيره من المهارات يمكن أن ننميه ونرعاه، ومع أهميته نهمله، ولا نقدّر قيمته على مستوى الأسرة والعمل والمجتمع. ثقافتنا لا تحثنا على الحب وتقصره على معناه الضيق بين الوالدين وأبنائهم أو الأزواج، لكنه في الحقيقة يجب أن يشمل الجميع ومنهم البيئة وما بها من حيوان ونبات، جربه، ولا تيأس.

نعم، فالحب شعلة مقدسة تنشر الدفء بداخلنا

الحب حلم جميل في لياليا

الحب لحن طروب في مسامعنا

الحب سحابة ديم تزور صحارينا المجدبة، فتحيلها واحات غناء مزهرة

الحب ملح الحياة، وحين يغيب الحب يختفي طعم الحياة

الحب لا يأتي تنزلًا، بل سعيًا دؤوبًا لاكتسابه والمحافظة عليه.

- أعرف يا عمي، شابًّا وفتاة أحبّ كل واحد منهما الآخر وتزوجا، لكن حياتهما بعد الزواج تغيرت كثيرًا، واختفى الحب من حياتهما لكثرة الشروط التي طلبها أهل البنت على الزوج في أثناء الملكة.

- أجـاب العم: الحب يجب ألا يكون مشروطًـا، فكل حب يبدأ بشروط يصبح تجارة لا حبًّا، هل سـمعت بسحابة تشترط نوع التربة قبل أن تجود بغيثها؟ قد تكون التربة سبخة لا تنبت، ولا تهتم بالمطر، وقد تكون روضة تستقبل المطر بكل شوق، وتجود بشـتى أنـواع الزهـر والثمر، هل سـمعت بأم تشـترط شـكل الجنين أو جنسه قبل أن تحبه؟ الحب يختنق إذا حاصرته القيود.
- وهل للحب فوائد صحية؟
- نعم، قرأت الكثير عن فوائد الحب، فالزواج السعيد المفعم بالمحبة يصبـح فيه الزوجان أقل تعرضًا لأمراض القلب وارتفاع ضغط الدم والاكتئـاب، ومن فوائد الحب للزوجين اهتمامهما بصحتهما واتخاذ العوامل الوقائية، كالكشف المبكر عن الأمراض، وتناول الغـذاء الصحي، وممارسـة الرياضـة، وهذا يجعلهـما أقل تعرضًا للأمراض من غير المتزوجين أو المتزوجين التعساء.
- الحب سلاح الرابحين، وهو أساس بناء الأسر السعيدة الناجحة والمجتمـع الصحـي والوطن الآمن المزدهر، مـع الحب تختفي الكثير من الأمراض والمشـكلات التي تؤرق المجتمع، وتفرز أسرًا مفككـة وأطفـالًا تعسـاء. المصيبة يا أخـي، أن ثقافتنا لا تعطـي الحب ما يسـتحقه من عناية، هل سـمعت من يتحدث عن الحب في البيت أو المدرسة أو المسجد؟ لتكن يا أحمد، أنت وزملاؤك رسل حب، وانشروه قولًا وعملًا.

- قال أبو أحمد: ولكن أحيانًا تبتلى بإنسان جاهل، لا يعرف سوى منطق القوة والصوت المرتفع.
- صدقت يا أخي، أتذكر ما حدث لي في أثناء قيادتي السيارة في أحد شوارع الرياض المزدحمة، إذ أخطأت على قائد سيارة، ومنعته من التجاوز دون قصد، تطاير الشرر من عينيه، وبدأ بتجاوزي، أفسحت له المجال، وحين جاوزني حاول إيقافي، فنظرت إليه، وابتسمت، وقلت له: آسف إن كنت أخطأت في حقك، لكنه لم يقتنع، وحاول إيقافي، فتركت الشارع، وسلكت طريقًا آخر، ثم تساءلت: لماذا العنف في شوارعنا؟ إنه غياب الحب والتسامح، فمن رفعت له قبضة يدك سيرفع قبضته، ومن بسطت له يدك سيبسطها لك. أسباب غياب الحب كثيرة، منها القسوة والقمع في المنزل وفي المدرسة وفي العمل، وغياب ثقافة التسامح وحب الانتقام لاعتقادنا أننا دائمًا على حق وغيرنا على باطل. مهما قسا عليك الزمن فلا تَقْسُ على غيرك، سواء أكان طفلًا أم زوجة أم أجيرًا عندك، فالقسوة لا تولد سوى مزيد من القسوة، وبهذه المناسبة سوف أهدي لك يا أحمد، كتابًا عن الحب، للأستاذ أحمد الطويل بعنوان (مشاعر مدفونة في صحراء نجد) يؤكد فيه الكاتب أن الإنسان عاطفي بطبعه.

السعادة بين يديك

أسهل طريقة لتنمية السعادة
هي أن تلبس ثوبها الدافئ، وأن
تشرك غيرك في دفئها.

المؤلف

- أراك يا أحمد، أسعد ما تكون في هذه المرة، قل لي: ما سبب ذلك؟
- السبب هو هذه اللوحة الجميلة التي ترتسم على محيا أبي وأمي وزوجتي وأطفالي، ازددت سعادة بوجودهم معي، كنت أفرح كثيرًا، حين أتركهم في البيت، وأذهب مع أصدقائي الشباب، أما الآن فلا آنس إلا معهم، صرت أقضي جلّ وقتي بينهم، وهم اليوم أكثر سعادة مني كما ترى.
- صدقت، فالفصل المبالغ فيه بين الجنسين أسهم في تفكيك الأسر، وضيّع فرصة تربية الأبناء في ظل رعاية الأم والأب معًا، صار الأب يسهر مع أصدقائه والأم مع صديقاتها، ولم نعد نرى الأسر مجتمعة كما كانت في الماضي.
- لكنه من باب سدّ الذرائع يا عمي، فالهدف من الفصل بين الجنسين هو حماية المرأة وصيانتها.
- لكل شيء في هذه الحياة محاسنه ومساوئه، وللفصل المبالغ فيه آثار نفسية واجتماعية كثيرة، يعرفها علماء التربية والاجتماع،

لكـن سـطوة المجتمـع تمنعهـم مـن ذكر ذلـك، ألا تـرى هذه السعادة البادية على أسرتك وأسرتي، حين اجتمعا؟

- قـال والد أحمد: صحيح ما يقوله أخـي، واليوم حين أشركت غيرك في السـعادة زادت سـعادتك، فالسـعادة هي هدف كل إنسان على هذه البسيطة، رجلًا كان أو امرأة، وهي من أهم ما ينشده الإنسان في هذه الحياة، وهي شعور داخلي وحالة عقلية، لا يختص بها شخص دون آخر أو شعب دون غيره، والسعادة تعتمد على اقتناع الشـخص وإيمانه وفهمه للحياة، فمن الناس مـن توافـرت له كل وسـائل العيش الهنيء الوافـر، ومع ذلك تجـده عليلًا متذمرًا، وتراه من أشـقى الناس وأتعسـهم، وتجد من ولد ولديه كل وسـائل الراحة والوفرة ومع ذلك فهو غير سـعيد، فـلا المـال ولا الجاه ولا المنصب ولا الشـهرة تشـتري السعادة، لكنها إحساس داخلي وقناعة وبعد نظر.

- قالت نورة زوجة أحمد: كيف أحقق السعادة لي ولغيري من الناس؟

- شكرًا يا نورة، وشكرًا لحضورك مع أحمد، المرأة تشكل نصف المجتمع، لكنه نصف شـبه معطل، وبجهـودك وجهود غيرك مـن النسـاء يمكن أن نعيد للمرأة مكانتهـا التي كانت في عهد رسـول الله ﷺ، حين كانت تشـارك في الحياة الخاصة والعامة، أما السعادة فتكتسب بالعمل الجاد المثمر، وإنجاز ما نخطط له من أهداف، ومساعدة الآخرين والإحسان إليهم، وللاستقامة

دور في تحقيق السعادة، فكثير من المنغصات وتأنيب الضمير تاتي بسبب الإخلال بالأمانة، وقد قال أرسطو: «على المرء أن يكون فاضلًا حتى يكون سعيدًا».

- قال أحمد: أحيانًا أغبط زملائي، وأظن أنهم أسعد مني بما لديهم من حرّية السهر والسفر متى ما أرادوا.
- السعادة يا أحمد، لا تأتي من الانغماس في اللهو والسهر، أو تعاطي المسكرات والمخدرات، الشباب يخلطون بين السعادة الدائمة واللذة المؤقتة التي تسرق الوقت والصحة والمال، وتشتت الأسرة، السعادة الدائمة تكون مع الاستقامة والرضا والصحة والعمل والبذل. يقول العالم الأمريكي بنيامين ديزراييلي: «الأفعال لا تجلب السعادة دائمًا، لكن لا سعادة بلا أفعال».
- قال أبو أحمد: أوافقك يا أخي، وأرى تفاوتًا كثيرًا بين شخص وآخر فيما يخص السعادة، وللتفاؤل تأثير كبير في سعادة الإنسان وصحته، وقدرته على مقاومة المرض، وفي علاقاته الاجتماعية، وفي نجاحه في تحقيق أهدافه، وقد ثبت طبيًّا أن كثيرًا من الأمراض لها علاقة بالحالة النفسية، وفي تناسب عكسي مع التفاؤل.
- قال أحمد: ألا يصيبك الإحباط والملل في بعض الأوقات يا عم؟

- بلى، يا أحمد، يصيبني الملل أحيانًا، لكن لا أستسلم له وأعالجه بالبحث عن شيء أقوم به، كقراءة كتاب ممتع، أو ممارسة رياضة محببة إليَّ كالمشي داخل المنزل. وقد وجدت أن الكسل والفراغ من أهم مسببات الكآبة، وأسعد الناس أكثرهم نشاطًا وإنتاجًا وخدمة للآخرين.

دعونا نحدد بعض صفات الأشخاص السعداء لنعرفهم حين نلتقي بهم، ولنبدأ بك يا أخي، أبا أحمد:

- قال أبو أحمد: أراهم متفائلين في نظرتهم للحياة، وإيجابيين وأكثر نجاحًا من غيرهم في الحياة، ولديهم مستوى مناعة أقوى من غيرهم، ويشفون من الأمراض أسرع من غيرهم.
- قال العم: صدقت، وقد قرأت عن هذا الموضوع في مجلة علمية منذ زمن، وهل يمكن أن تقدمي لنا صفة ثانية نعرف بها السعداء يا أم أحمد؟
- قالت أم أحمد: أميز السعداء باعتدادهم بأنفسهم واحترامهم لها، وواثقون من أنفسهم بصرف النظر عن أي نقص في المظهر أو المخبر، ولا يختفون خلف الأقنعة.
- أحسنتِ، هذه من صفات الأشخاص السعداء، الثقة بالنفس واحترامها دليل على السعادة والنجاح، وماذا ترى يا أحمد، من صفات أخرى؟

- أجاب أحمد: لديهم طموح ورؤية، ويحققون نتائج أفضل في دراستهم، ويشعرون بالسعادة فيما يعملون، ومحبون للحياة ومستمتعون بأوقاتهم، ومن السهولة أن يكوّنوا صداقات، ويشاركوا في الأنشطة الاجتماعية، وهذا عرفته جيدًا، فحين بدأت أتذوق النجاح أصبحت أشعر بالسعادة.
- أحسنت يا أحمد، فالناس السعداء يتصرفون تصرفًا تظهر فيه آثار السعادة، ويبدون كذلك، ويديرون أوقاتهم إدارة جيدة، ويمارسون ما يحلو لهم، ويتقنون ما يقومون به، السعادة يجب أن تكون ممارسة يومية نحرص على أن نعيشها في كل أعمالنا، لا أن نؤخرها حتى يتحقق لنا ما نعمل من أجله، بل يجب أن نستمتع بالرحلة التي تقودنا لتحقيق الهدف، لا أن تكون السعادة مشروطة بتحقيق الهدف.

الصقر

الإنسان روض الصقر فوقع في الترويض نفسه

من رضع من ثدي الذل دهرًا، رأى
في الحرية خرابًا وشرًّا.

محمود درويش

اليوم خططت لدعوتكم مع بعض أفراد أسرتنا من الرجال والنساء لقضاء مساء ربيعي جميل على تل رمال يطل على واحات جميلة من مزارع نخيل الغاط التي صارت تشكل لوحات فنية بديعة على جبين الصحراء، أريدكم أن تعيشوا بين أجمل ما جادت به الصحراء، واحات خضراء من النخيل تنام بين جبال طويق ورمال النفود.

نريد أن نصل إلى النفود قبل أن تلملم شمس الأصيل أشعتها، وتغوص في الجانب الآخر من الرمال الممتدة.

- التفت أبو أحمد إلى العم، وقال له: منظر الغروب من أجمل المناظر التي أبدعها الخالق، إنه منظر نستمتع به، وليس لنا القدرة على تغييره، هل تصدق أن بعض الناس يتشاءم من منظر الغروب، ويربطه بنهاية الإنسان وأفوله.

- صدقت يا أخي، والإنسان هو نتاج ما يتعلمه في صغره.

جلست الأسرة حول النار ومع أحد الشباب صقر أجلسه على كرسي صمم لهذا الغرض، ووضع على عينيه قناعًا، بحيث لا يرى، فيظل هادئًا مستكينًا يدعو منظره للرحمة والشفقة، ومع القهوة ومنظر النار طاب الحديث، وحلّ وقت السمر، وليكون الحديث ممتعًا ومفيدًا، فكر العم كيف يجعل من الصقر وبرقعه محور حديث السمر لهذه الليلة، سألهم وكان أكبرهم سنًّا: ماذا يوحي لكم منظر هذا الصقر؟ وكيف استطاع الإنسان أن يروضه، وهو من أقوى الطيور وأشرسها؟

ألا ترون وجه مقارنة بينه وبين الإنسان؟ يأتي الإنسان إلى هذه الحياة وهو حرّ طليق ومتحفز، ولكن منذ اليوم الأول لولادته تُفتل له القيود، وتحاك له البراقع التي تحجب ضوء الحياة الجميلة، وتشلّ حركة الإبداع.

قال أحد أفراد الأسرة: لكن هذه القيود والبراقع ضرورية لكي لا يؤذي الإنسان نفسه، ويؤذي غيره، لقد وجدت القيود لحمايته من النزوات والتجاوزات.

- وقالت إحدى النساء: الإنسان جاهل، ولا بد من تعليمه، ومن سبقنا طبق ما تعلمه من تجارب، وها نحن نطبقها على أنفسنا، ونعلمها لمن بعدنا.

- قال أبو أحمد: ليس كل ما تعلمناه مفيدًا، بل إن في بعضه الكثير من القيود، فقد لبست منذ صغري برقعًا حجب عني الكثير من الحقائق، وأقعدني عن الكثير من الفرص، ولو تخلصت من بعض القيود والبراقع مبكرًا لأصبت الكثير من النجاح، وأعتقد أن أكثر مصائب الأمم من قيودها وبراقعها التي تستميت للمحافظة عليها.

سألهم العم: لماذا تنطلق أمم إلى الأعالي، وتتأخر أمم أخرى؟ مع أن الإنسان هو الإنسان، والزمان هو الزمان، وطريق التقدم واضح سلكته أمم قبلنا، وأمم استيقظت بعدنا، أليست الثقافة، وما تفتله من قيود، وما تحوكه من براقع هي التي تتحكم في كل تفاصيل حياة الشعوب؟ هذه البراقع تبقي الإنسان مستكينًا قابعًا في الظلمة، كطيرنا هذا دون أن يعلم بوجود تلك البراقع والقيود.

قال أحمد: أظن أن الجهل أشد هذه البراقع تأثيرًا، ورأيت ذلك في تلك الأيام التي عشتها، وظننتها أفضل ما يمكن القيام به.

- قال صالح وهو من أعز أصدقاء أحمد: التواكل وسوء فهم القضاء والقدر يمنع الإنسان من الانطلاق.
- وقالت أم أحمد: أظن أن الفساد من أهم أسباب تخلفنا؛ لأنه يشل مفاصل الأمة.
- التفت العم إلى زوجته مزنة، وقال لها: أراك ساكتة لا تشاركين في تلاقح العقول في هذه الأمسية الجميلة.

- لدي الكثير مما أودّ قوله، لكن المجال لا يتسع أتمنى لو يكون حديثنا عنا نحن الجالسين هنا، هل حاول كلٌّ منا معرفة القيود والبراقع التي تقيده، وتمنعه من تحقيق ما يصبو إليه؟ هل وضع كل واحد منا هدفًا يسعى لتحقيقه؟ هل استثمرنا كامل قدراتنا وطاقاتنا؟ نحن نلوم الزمان على ما نحن فيه من جهل وتخلف ونحن حماة الجهل وقيوده؟ وبدلًا من النقد الذاتي نهرب إلى الأسهل، وهو أن نلقي بإخفاقاتنا على الآخر؟
- التفت العم لصاحب الصقر، وقال له: لو لي من الأمر شيء لرفعت البرقع عن هذا المسكين، وجعلته حرًّا طليقًا يسبح في سماء الله الواسعة.
- تبسم صاحب الصقر، وقال: لو أطلقته لعاد إلينا أسرع مما تتصور، لقد اعتاد على هذه الحياة وألفها، تأقلم مع حياة الظلمة والأسر، وصار يعيش في ظلام ليل طويل، واستأنس بهذا الليل، ولا يريد له بديلًا، لقد صار يرى في الحرية ضياعًا وانفلاتًا.
- ضحك العم، وقال لمالك الصقر: أظن أن صقرك المبرقع يحكي واقع كثير من الأفراد والأمم، صدقت زوجتي مزنة، لا بد أن يبحث كلٌّ منا عن ذلك البرقع الخفي الذي يحجب رؤيته للحقائق الغائبة والفرص الكثيرة من حوله، لا بد من قراءة تجارب الناجحين، وكيف تخلصوا من القيود التي أدمت أقدامهم والبراقع التي أعمت بصيرتهم، وأمامكم مثال حي

على أهمية التغيير، إنه أحمد ولعله يتحدث باختصار كيف استطاع أن يتخلص من الماضي، ويرسم مستقبله على الرغم من مشقة الرحلة.

- قال أحمد: أشكرك يا عمي، على الثقة وأجدها فرصة لأقول لكم: إن أهم تغيير حدث في حياتي هو تغيير أفكاري، فلقائي بعمي جعلني أعيد النظر في الكثير من المسلمات التي كنت أظنها حقائق لا جدال فيها، لقد أرشدني إلى الكثير من تجاربه، ولولا صبره وبعد نظره لتركته منذ لقائي الأول به، لقد شجعني على فك القيود التي كانت تحيط بي من كل جانب، وأمدني بثقافة تختلف عن كل ما سمعته من قبل، صرت أحسب للوقت ألف حساب، ووضعت أهدافًا كثيرة تحقق معظمها والحمد لله، عشر سنوات منذ لقائنا الأول أصبحت بعدها إنسانًا مختلفًا في كل شيء، عرض علي العم تجاربه التي امتدت لأكثر من خمسين عامًا، وآلاف الكتب التي قرأها، وصحبة عشرات الناجحين الذين تأثر بهم.
- ولكن لم يكن لكل ما سبق أدنى فائدة لو لم يكن لديك الاستعداد للتغيير يا أحمد.
- صدقت يا عمي، بدأ التغيير الحقيقي حين بدأت بتغيير أسلوب تفكيري، وتفكيري أثر في رؤيتي للحياة، ورؤيتي للحياة أثرت في سلوكي، وسلوكي أثر في أدائي في كل مجال،

وأدائي انعكس على إنجازاتي الأخيرة في الحياة، كنت صقرًا حجبت عنه رؤية الضوء، والآن صرت بفضل الله حرًّا طليقًا أحلق في الأعالي.

حدق العم في الصقر من مسافة قريبة، ونظر إلى مخالبه القوية وإلى رأسه المرتفع الأشم، ثم قال:

- لدي سؤال سأطرحه على هذا الصقر، وأريد منكم أن تطرحوا إجابات تتوقعون أنها إجابات الصقر.
- هل أنت سعيد في حياتك الحالية أيها الصقر؟ أم أنك تعيش في بؤس السجن وقيوده؟
- أجاب أحدهم على لسان الصقر: من فوّضكم لتتحدثوا نيابة عنّي، ومن قال لكم: إنني لست سعيدًا؟ أنا سعيد بوجودي هنا، يُؤمّن لي الأكل والشرب دون تعب، وأنام مكرمًا معززًا، لم تعد السماء تغريني ولا السباحة في الفضاء الرحب تطربني، قانع بما آلت إليه حالي.
- قال آخر: الظروف هي التي تتحكم في مصيري، وهذا قدري، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لما قبلت بهذه الحياة التعيسة المبرمجة؛ لذا دعني أيها الشيخ، وشأني.
- قال آخر: لو قيّض الله لي عقلًا مثل عقولكم، ولو كانت لي فرصة أكبر للتأمل، لفكرت مرارًا فيما آلت إليه حالي،

أستغرب كيف استطاع الإنسان أن يروضني، ويقنعني أن هذه هي أفضل حياة على وجه الأرض، لم أكن أعلم أنه برمجني لمصلحته، ولم أعلم أنه ساوى بين النار والجنة وبين العبودية والحرية، غريب أمر هذا الإنسان، لم أجد أكثر منه طيبة في مواقف، وأنانية في مواقف أخرى.

- قال الشيخ: أحسنتم لا شيء كتلاقح الأفكار والبحث عن الأسباب من جذورها، طريق المعرفة طويل وشائك، يغطيه الضباب أحيانًا كثيرة، وتتشابه طرقه أحيانًا أخرى، كم أنا سعيد بإثارة الأسئلة، وكم أنا سعيد بأجوبتكم المختلفة.

لماذا نفتقد روح الفريق؟

لا أريد أن أستأثر بالحديث، لكن سكوت أكثركم وحسن إنصاتكم شجعني على المزيد. أريد أن أسألكم: لماذا تنشب المعارك بين العاملين في أماكن العمل؟ لماذا يحصل الطلاق بين الأزواج؟ لماذا لا يتعاون المعلمون والمعلمات والأساتذة بعضهم مع بعض؟ لماذا يكيد الموظفون بعضهم لبعض؟ لماذا يسهم بعضهم في إفشال مشروع حيوي ومفيد للجميع لمجرد النكاية في زميل أو منافس؟ أسئلة كثيرة تجول في خاطري منذ كنت موظفًا صغيرًا في الشركة إلى أن أصبحت مديرًا لمنشأة كبيرة، رأيت الخلاف يدبّ على جميع المستويات، لا فرق بين متعلم وجاهل، بين حامل الشهادة الابتدائية وصاحب الشهادات العليا، حتى على مستوى المدارس والجامعات نجد الكره والبغضاء والانفراد بالرأي، والحزازات والتفرقة لأسباب كثيرة، وقس على ذلك ما يحدث بين مختلف المؤسسات والدول، ولو تصفحت الجرائد والمجلات، وما يحدث في الأندية الثقافية والأدبية والرياضية والجمعيات الخيرية والعلمية لرأيت العجب العجاب، مع أن أكثرهم أصحاب شهادات عالية، وقد يكون بعضهم حصل عليها من جامعات عريقة في الغرب، لكنه لم يستفد مما يجري هناك من تعاون، سواء بين أعضاء هيئة التدريس أو بين الأساتذة والطلبة، وقد وجدت أن أكثر الحزازات تحصل بين أصحاب الصنعة الواحدة، أو التخصص الواحد، ولو تدبرنا وعملنا بما في الآية الكريمة التي يقول

فيها ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، لحللنا الكثير من أمورنا بالتي هي أحسن.

- ما الأسباب الحقيقية لهذا الصراع يا عم؟
- الثقافة من أهم الأسباب، فالفرق واضح بين مواطني الدول المتقدمة والنامية، في الدول المتقدمة نظرتهم بعيدة، وأهدافهم كبيرة بحجم الوطن، وتعليمهم متميز يركز على التعاون حتى قبل بدء المرحلة الابتدائية. من أفضل الشعوب في التعاون وروح الفريق الشعبان الياباني والكوري، فهم يركزون على أهمية التعاون وروح الفريق في المدارس، ففي رياض الأطفال تكون الألعاب التي تحتاج إلى فكّ وتركيب كبيرة؛ حتى يتعاون الطلبة في فكها وتركيبها، والطلبة يتعلمون النظام الديمقراطي منذ الصغر؛ حتى يكون الرأي جماعيًّا، فيحس كل فرد أن الرأي في النهاية هو رأيه.
- قال أحدهم، وقد حصل على شهادته من جامعة غربية: لكنني عشت معهم، ورأيت الصراع والخصام بينهم والدسائس، ورأيت كثرة الطلاق بين الأزواج.
- صدقت، للإنسان نقاط ضعف متأصلة، لكن المسألة نسبية، يفرقون بين الصالح الخاص والعام، أتذكر ما قاله الدكتور أحمد زويل، حين قارن وضعه يوم كان في مصر، وحين

انتقل إلى جامعات أمريكا، وحصل على جائزة نوبل يقول: «في أمريكا وجدت التعاون من الجميع؛ زملاء وطلبة، حين حصلت على جائزة نوبل كان يساعدني مئتا شخص لأنجح، وأحصل على الجائزة، وبعد الجائزة صار العدد ثلاث مئة بين طالب وأستاذ وفني وإداري» في دول العالم الثالث تطغى المصالح الشخصية على المصالح العامة والاهتمامات الصغيرة على الكبيرة، وتسود الأنانية، فتعلو كلمة أنا على كلمة نحن. في الدول النامية يرى الشخص أنه أهم من الأسرة، والأسرة والقبيلة أهم من الوطن.

- قال أحد الجالسين: وكيف نتغلب على الأنانية ونعزز روح الفريق؟

لن أجيب عن هذا السؤال المهم وحدي، لكن سأجعله متاحًا للجميع.

- قال أحدهم: إذا كنت عضوًا في لجنة أو فريق فلا تستخدم (أنا) واستخدم (نحن) بدلًا منها، وتذكر قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، كلمة (أنا) تعني استبعاد الآخرين ونسيان جهودهم وإلغاء مشاركتهم، أما كلمة (نحن) فتعني أن الكل مشارك في الجهد والنجاح.

قال أبو أحمد: لا تنظر إلى محيطك الضيق، لكن إلى الأفق البعيد، وانظر إلى النتيجة النهائية في آخر العام، تذكر أن الدول في سباق

وصراع على التفوق والحصول على الثروة والقوة، الفريق الفائز أفراده متعاونون، ويقدرون كل جهد يبذل مهما تواضع؛ لأنه يصنع الفرق. تذكر أن النهر العظيم يبدأ بقطرة، ومسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة.

- قالت أم أحمد: ابحث دائمًا عن نقاط الالتقاء، واستمع أكثر مما تتحدث، ولا يُلهِك حديث جانبي أو محادثة في الجوال عما يقال في الجلسة، فهذا دليل على عدم الاهتمام، واعلم أنه لولا اختلاف وجهات النظر لما كان هناك داعٍ لوجود الفريق، وأسوأ القادة من يفرض رأيه بالقوة قبل الدراسة الوافية وانتهاء النقاش. أفضل القرارات وأقلها خطأ هي التي تتخذ جماعيًّا.
- قال صاحب الصقر: تقبل النقد، واعتبره طريقك إلى النجاح، وهدية تقدم لك من الزملاء والأهل والأصدقاء. لا تقدّم للأفراد والأمم إلا بنقد بناء وتقييم مستمر، ومن يأنف من النقد لن يذهب بعيدًا، وسيجد صعوبة في العمل مع الآخرين.

لا طرق مختصرة

قال أحد الشباب للعم: نجاح أحمد حفزنا على طرق أبواب النجاح، لكننا لا نريد أن نستغرق عشر سنوات، حتى ننجح مثل أحمد، فهل هناك خطوات أسرع يمكن أن تساعدنا على النجاح بسرعة؟

- بودّي أن أدلكم على الطريق المختصر للنجاح، لكن ذلك غير ممكن، النجاح طريق طويل ورحلة مستمرة مدى الحياة، ويحتاج إلى الكثير من الانضباط والتركيز والتخطيط والعمل، وبالأمس كنت أقرأ عن معلم ناجح إليكم مختصر قصته:

تقع مدرسة هوبرت للتعليم الابتدائي في أحد أحياء مدينة لوس أنجلوس المليئة بالعصابات والمخدرات، وطلاب الصف الخامس الابتدائي في فصل الأستاذ ريف إسكويث يتحدثون اللغة الإنجليزية بوصفها لغةً ثانيةً، ومع هذا يحرزون درجات في الرياضيات تفوق درجات الفصول الأخرى في المدرسة، ويقرؤن من الكتب أكثر من غيرهم، ويتعلمون اللغة الإنجليزية، ويجيدونها من خلال تعلم مسرحيات شكسبير وأدائها، وقد مثل الطلبة خمس عشرة مسرحية كاملة من مسرحيات شكسبير لجماهير غفيرة من داخل المدرسة وخارجها.

وحين تدخل فصل هذا الأستاذ المتميز تلاحظ لوحة كبيرة معلقة على الحائط مكتوب عليهاعبارة «لا طرق مختصرة» وفي

الفصل أعلام لأشهر الجامعات في الولايات المتحدة والعالم، حيث التحق الكثير من طلاب المدرسة بالتعليم العالي، ويحضر إلى فصل هذا المعلم المتميز مسؤولو كثيرٍ من المدارس من شتى أنحاء العالم من أجل معرفة أسباب هذا النجاح الذي يشبه المعجزات التعليمية في هذه البيئة الصعبة.

وقد كُرِّم هذا المعلم الفذ على مستوى الولايات المتحدة بوصفه أول معلم في التاريخ يحصل على الميدالية الأمريكية في الفنون، وكرمته الملكة إليزابيث بأعلى وسام يمنح لمواطن لا يحمل الجنسية البريطانية.

- ما الذي يدفع هذا المعلم في مدرسة حكومية للعمل مدة اثنتي عشرة ساعة في اليوم ستة أيام في الأسبوع وعلى مدار العام، وله في التعليم عشرون عامًا؟
- الحب والحماس هو ما دفعه لعرض روائع الأدب والموسيقا والمسرح والعلوم والرياضيات وشتى صور الاستمتاع القديمة على مئات الأطفال، وكانت النتيجة هي إثارة حماس طلابه من خلال استمتاعهم الذاتي بالتعلم وتعزيز تقديرهم لذاتهم في الوقت الذي يعززون من أدائهم الأكاديمي، وكما يقول (ريف) ذلك المعلم المتميز: «أنا شخص عادي جدًّا استطعت أن أخطو خطوة ذكية، فأنا لم أسمح للتعليم الحالي بقوالبه الجامدة أن يسحقني، ويحولني إلى إنسان آلي مثلما أصبح الكثير من المعلمين الجيدين على ما يبدو، إنني أبقي على

إثـارتي وحماسي وحبي داخل فصلي، ولأنني محب لشكسـبير، فقد قمـت بنقل هذه الإثارة، وذلك الحـب إلى عقول الصغار المتطلعـة، لقـد أصبـح النجـاح والتميـز أمـرًا معتـادًا، وليس استثناء في حي مشهور بالفشل والفقر واليأس، والأفضل من هذا وذاك هو أنني وجميع الأطفال نستمتع بقضاء وقت طيب في العمل بجد ينقلنا إلى آفاق جديدة، إنها حياة رائعة».

هذا العنوان اسـتوقفني، وخصصت له أكثر من مقال أسـبوعي، والسـبب هـو أننـا نحـاول أن نختـصر الطريـق إلى النجـاح والصحة والسـعادة، لنصـل إليها سريعًا، لكـن قانون الحياة ثابـت لا يتغير، من أراد بضاعة فليدفع ثمنها غير منقوص. ولو كانت الطرق مهيأة وسهلة وقصيرة وواضحة لسـلكها أكثر الناس، لكنها ليست كذلك، أعجبني المثـل، وأعجبنـي تفـاني هذا المعلم وأنـا على يقين أنه من أسـعد الناس وأكثرهـم نجاحًا وصحة، وهـذا يذكرني بحكمة تقـول: «العمل يهب الصحة» ومقولة يحيى بن كثير يقول: «لا يُنال العلمُ براحة الجسم».

ويقول أبو تمام:

بَصُرْتَ بالرّاحَةِ الْكُبرَى فَلَمْ تَرَها تُنالُ إِلّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

في نيوزيلنـدا كنـت في زيـارة لمدرسـة ثانوية، وفي أثنـاء جولتي في المدرسـة قدمتنـي دليلتي إلى معلم شـاب، وقالت: هـذا المعلم من أفضل معلمينا، يعمل سبعة أيام في الأسبوع أحيانًا، ويخرج مع الطلبة

والطالبات للقيام بمغامرات وتمارين كثيرة تتطلب الكثير من الجهد والوقت، سألته: من يدفع لك مقابل هذا الجهد؟ أشار إلى قلبه، وأجاب: هذا يدفع لي. لولا هذا المعلم وغيره من المخلصين المثابرين لما صارت نيوزيلندا من الدول المتقدمة.

كن مع فريق القادة الناجحين

في نهاية هذه السهرة الجميلة أودّ أن أقول لكم هذه الكلمات:

بصرف النظر عن مركزك الوظيفي، أو جنسك، أو تحصيلك العلمي، أو حالتك المادية، تستطيع أن تصبح قائدًا ناجحًا، تستطيع أن تكون قدوة وقائدًا في بيتك وبين زملائك، لكن عليك أن تتمتع بصفات القادة، وأكثرها مكتسبة لا موروثة، دعونا نتحدث عن أهم الخطوات التي ستساعد على صقل صفاتك القيادية وتحسينها، ولنبدأ بك يا أبا أحمد:

- من المهم معرفة الصفات القيادية التي تميز القائد، وتجعل الناس تحبه، وتطيعه، وتقتدي به، ومنها الاستقامة والشجاعة والمرونة والالتزام والصبر ومهارات الاتصال والكرم والمبادرة والروح المعنوية العالية.
- أحسنت، وماذا يمكن أن تضيف يا صالح؟
- الممارسة حتى تصبح هذه العادات جزءًا من صفات القائد يعرف بها، فكل صفة لن تصبح عادة إلا بتكرار وجهد ومثابرة، حتى يتقنها القائد، وتصبح سهلة التطبيق، وخذ على سبيل المثال مهارة الاتصال المطلوبة في القائد، كحسن الإنصات والقدرة على الخطابة وإعطاء المحاضرات، كل ذلك يحتاج إلى تدريب مستمر وممارسة للقضاء على حاجز الخوف والتردد.

- أحسنت يا صالح، وطرقت على الوتر الحساس الذي لا نلقي له بالًا، وهو ضرورة الممارسة، وماذا لديك من إضافة يا أم أحمد؟
- أعتقد أن القراءة مهمة للقائد، فالقراءة تطلعك على سير الناجحين، وكتب تطوير الذات تدلك على الخطوات الواجب اتباعها، لولا القراءة ما تقدم العالم وكل متميز في عمله يمتاز بحب القراءة.
- احسنت يا أم أحمد، أنت قارئة جيدة، بارك الله فيك، وماذا لديك يا علي؟
- أعتقد أن الصبر من أهم صفات القادة الناجحين، والملل والإحباط من أسوأ أعداء النجاح، أعجبني قول ذلك المعلم الناجح: «لا طرق مختصرة».
- أحسنت يا علي، وماذا لديك يا أم حسين؟
- لنصبح قادة علينا أن نبدأ بأنفسنا، فمن يعجز عن قيادة نفسه لن يتمكن من قيادة غيره، علينا أن نبحث عن أفضل الممارسات التي تحقق لنا التميز في كل أمورنا، وهذه مهمة صعبة، ولن نتمكن من تحقيق كل ما نريد، لكن علينا أن نواصل المحاولات، وأن نفكر جيدًا في كل الخيارات التي تطرح أمامنا.
- أما أنا فأقول لكم: إن الفريق الناجح هو من يستمتع بما يعمل، استمتعوا بالحاضر، واجعلوا من المرح طريقًا للنجاح،

واسبحوا قريبًا من الشاطئ، لكن إياكم أن تذهبوا إلى أعماق سحيقة تكثر فيها الحيتان الكبيرة والقروش المفترسة والأخطار غير المدروسة، الحياة رحلة جميلة إن أردنا لها ذلك.

تعلم أن تقول: لا

وقبل أن ننهي سهرتنا أود أن أودعكم بهذه النصيحة الغالية:

نحن نعيش في مجتمع ينتمي إلى العالم الثالث، حيث الارتجال وعدم احترام خصوصية الآخر، ومحاولة تجاوز الأنظمة والالتفاف عليها، والتفنن في إضاعة الوقت، والفراغ الكبير الذي يعيشه الناس، مجتمع يعد الإسراف كرمًا، واقتحام الخصوصيات واجبًا، كل هذه مجتمعة تجعل من اليسير علينا أن نضيع الوقت فيما لا يفيد، ومع التقدم الهائل في وسائل الاتصالات، صار من السهولة الوصول إلى الشخص في أي مكان وفي أوقات العمل والإجازة؛ لذا من المهم أن يكون لدينا الشجاعة في أن نعتذر عن الكثير من الارتباطات والطلبات خصوصًا، حين لا تكون ذات فائدة لك وللناس والمجتمع.

لا تحملوا همًّا لتوقعات الآخرين عنكم، فبعض الناس لن ترضوهم إلا إذا أجبتموهم بـ(نعم) في كل مرّة، ولو أجبتموهم ولو مرة واحدة بـ(لا) فسينسون كل ما سبق، ويعاتبونكم، هؤلاء لا تلقوا لهم بالًا.

لي صديق آنس بحديثه، ويأنس بي، ونمارس المشي أحيانًا معًا، مشكلته أنه مع كبر سنّه يضعف أمام إغراء المتع، ويجامل إلى أبعد الحدود، يتصل به بعض أصدقاء السوء، ويأخذونه إلى استراحة تعجّ بالدخان ولعب الورق، ولا يعود إلى بيته إلا في ساعة متأخرة، وفي

كل مـرة يعاهد نفسـه بعدم الذهاب مرة ثانيـة، لكن حال الاتصال به من قبلهم وإلحاحهم عليه يوافق، وأحيانًا يغرونه بالمرور عليه وأخذه؛ للتأكد من حضوره، هذا الشخص يشكو من أمراض كثيرة من صنع يده، ولو اسـتثمر مثل هذا الوقـت فيما هو مفيد كالرياضة والبعد عن أجواء التدخين والسـهر لكانت صحته أفضل، وكنت أرى التحسـن في حياتـه كلما انقطع عنهـم، لكن لهم طرقهم الكثيرة لإقناعه وإعادته إلى حظيرتهم. علينا ألا نجامل على حسـاب الصحة والأسرة والعمل والقيم والسمعة الحسنة.

الخاتمة

أحمد يتحدث

أشكرك يا عمي، كثيرًا على كل ما أسديته لي من نصائح انتشلتني من الفقر إلى الغنى، ومن المرض إلى الصحة، ومن تفكك الأسرة إلى ترابطها وتعاونها، أتذكر لقائي الأول بك قبل سنوات، وكأنه بالأمس، جئتك أريد مساعدة مادية، فأعطيتني ما هو أكثر من ذلك، لو أعطيتني المال لانتهى خلال شهر أو شهرين، لكنك أعطيتني خلاصة تجاربك في الحياة وخلاصة قراءاتك ومشاهداتك، وهو ما جعلني أحسب لكل شيء حسابه، كانت لدي إمكانات كثيرة كامنة، وأيقظتها بكلماتك المعبرة والخارجة من القلب إلى القلب، كنت أتلذذ بضياع الوقت وتزجيته في الجلوس ساعات مع زملاء وأصدقاء دون فائدة، نردد حكايات وقصصًا مكررة ونكتًا معادة، ندخن ونسهر لنقتل الوقت، ولم ندرِ أننا بذلك نقتل أجمل وأثمن ما نملك.

أتذكر تلك الزيارة في ذلك الصباح الجميل، كنت غارقًا في بحر من المشكلات، فمددت لي حبال الأمل، وأضأت لي طريق النجاة، أستغرب كيف تتباين الطرق، وتختفي علاماتها إلى درجة أننا نسلك طريق الهاوية، ونحن نظن أننا نسلك طريق السعادة والنجاح.

كنت أضحك من كل قلبي، حين رأيتك لأول مرة تصعد الجبل، كنت ألتقط أنفاسي، وأتحدث إلى نفسي قائلًا: يا له من شيخ غريب أضاع جهده ووقته، يصعد إلى قمة جبل ليس بها سوى الحجر

والشجيرات العطشى!، ما كنت أعرف أن لك في هذه الرياضة أكثر من هدف، وحين حدثتني عن الأهداف كنت أظنها مضيعة للوقت، وحين رأيت أكداس الكتب في بيتك تحتل أركانه وجدرانه رثيت لحالك وقلت: يا له من مسكين، محروم من المتع!، ولم أدرِ أن أكثر المتع فائدة وديمومة هي التي تفتق الذهن، وتفجر الطاقات الكامنة كالقراءة والكتابة والبحث عن الجديد.

أشكرك يا عمي، فقد غيرت حياتي إلى الأبد، وأثريتها بكل جميل من صحة وأمل وحب للأسرة والعلم والعمل. ما كنت أدري أن ما يفصل بين السعادة والشقاء هو خيط رفيع يقوى، ويشتد مع الزمن. كل الناس يولدون باختلافات وفوارق جينية بسيطة، لكن التربية في البيت والمدرسة يصنعان الفرق. آمنت أن بعض ما في ثقافتنا يُعدّ من أهم أسباب تخلفنا عن ركب الحضارة، ونحن أهم حراس التخلف، أفكارنا هي ما يقف عائقًا أمام تقدمنا وأمام الحياة الحرة الكريمة للإنسان. ثقافتنا أصّلت للفوارق على أساس الجنس والقبيلة والمنطقة والمذهب. ثقافتنا تسمي الأسماء بغير أسمائها.

- أشكرك يا أحمد، على هذا الثناء وهذه العبارات الجميلة والحكم الكثيرة، وإن كنتَ سعيدًا فأنا أسعد منك، ولولا استعدادك النفسي وبدايتك المبكرة لما تحقق شيء مما أنجزته، تحدثت إلى آلاف في أكثر من محاضرة ومناسبة، ولم يتغيروا، والسبب هو غياب التفكير الإيجابي؛ لذا لم يتخذوا الخطوة الأولى نحو

التغيـير، وهو العزم على اكتسـاب عادات جديـدة، وأنا أومن أننـا لن نغير كل سـلبيات المجتمع ومتناقضاته، فالله سـبحانه أعلـم منا بطبائع البشر، وسـتبقى الاختلافـات والفوارق بين النـاس، وسـيظل في كل دائـرة مدير ومسـتخدم وفي كل بيت امرأة ورجل، وسـتبقى المدارس والسجون، والخير والشر إلى أن يرثّ الله الأرض ومن عليها.

إن كان لي رجاء يا أحمد، فهو أن تنقل ما تعلمته إلى غيرك، أعلم أنني راحل قبل أن أحقق كل ما أصبو إليه، ويومًا ما ستكون يا أحمد، ذلك الشـيخ الذي يعطي الحكمة لغيره، فحاول أن تبدأ مبكرًا؛ حتى لا يفوتـك الوقـت مثلـما فعل معـي، وابـدأ بأسرتك الصغـيرة؛ فهي مصدر فخرك في المسـتقبل، وهي أعظم هدية تقدمها لوطنك الكبير، أستودعكم الله.

عبدالله عبدالكريم السعدون